جماليات اللون في القرآن الكريم

مرتضى قائمي
الاستاذ المساعد بجامعة بوعلي سينا ـ همدان

الملخص

اللون من أهم وأجمل ظواهر الطبيعة ومن اهم العناصر التي تشكل الصورة الادبية لما يشتمل عليه من شتى الدلالات الفنية، الدينية، النفسية، الاجتماعية الرمزية والاسطورية.

للون دوره الخاص في الصورة الفنية القرآنية لان اللون قد وظف في المستويات البنيوية والتعبيرية، الحسية، التزيينية والجمالية والرمزية للتصوير الفني القرآني. فاللون في القرآن قد يدل على القدرة الالهية والرحمة الربانية والجمال الالهي الذي تبارز وتظاهر في الطبيعة وقد يرمز الى الحياة أو الموت والأمل أو الخيبة والكفر أو الإيمان، الهداية أو الضلالة والنشاط أو الحزن و...

استخدم اللون لشتى الدلالات فيما يدل عليه مباشراً كالأخضر والأصفر والأبيض والأحمر والأزرق والأسود وما يدل عليه غير مباشر كالليل والنهار والنور والظلام.

القرآن كريم، اللون، الجمالية، الدلالة

مقدمة

لاشك أن اللون من أهم الظواهر والعناصر التي تشكل الصورة الأدبية لأن له ارتباطاً

وثيقاً بجميع مجالات الحياة وظواهر الكون وله علاقة وطيدة بالعلوم الطبيعية وعلم النفس، الدين والثقافة والأدب، الفن والأسطورة و..

هذا وقد يعمق اللون علاقة الأدب بفن الرسم لأنه كما يقول سيمونيدس الشاعر اليوناني: الرسم شعر صامت والشعر تصوير ناطق (طارق الشريف، ص ١).

الأديب يستثمر الألوان لخلق التوازن والتناسب والوحدة والأنسجام التي هي من أهم مباني علم الجمال. بحيث يعتقد بعض كبار الشعراء أنه لابد من تدمير الواقع الخارجي لخلق واقعية جديدة ولحصول هذا الغرض لابد من الالتجاء الى الألوان. (نفس المصدر، ص ٩)

اذن التدقيق في الآثار الأدبية يرشدنا الى أن استخدام اللون في هذه الآثار ليس صدفة وليس لتنميق الكلام فحسب بل له ارتباط وثيق بجميع المستويات البنيوية والبلاغية والتعبيرية للنص الأدبي. (ينظر: جابر عصفور، ص ٢٨١)

هذا والتصوير هو الأداة المفضلة في اسلوب القرآن. فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الطبيعة البشرية ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة فاذا المعنى الذهني هيئة أو حركة واذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد و اذا النموذج الأنساني شاخص حي واذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية و... يجب أن نتوسع في معنى التصوير، حتى ندرك آفاق التصوير الفني في القرآن. فهو تصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالتخييل (سيد قطب، ص ٣٦)

اذن الدراسة في كيفية استخدام وتوظيف الألوان في القرآن الكريم تستطيع أن تكون خطوة هامة لفهم المفردات والتراكيب والتصاوير القرآنية القيمة.

فالهدف من هذه الدراسة التعرف على الدلالات البنيوية والتعبيرية والبلاغية للألوان وأثرها في جماليات القرآن الكريم.

للدراسة هذه لم أعثر على آثار علمية دقيقة الا ما يوجد في التفاسير القرآنية وعدد من كتب النقد والأدب وبعض المقالات، منها مجمع البيان للطبرسي والتصوير الفني

للسيد قطب.

يتناول هذا التحقيق بحثاً موجزاً في ماهية اللون ودلالات الألوان ثم يلقى الضوء على المعاني والدلالات المعنية باللون في التصاوير القرآنية.

ماهية اللون

يعرف اللون بأنه الانطباع الذي يولده النور على العين، فكل لون يتخذ قيمة معينة بالنسبة للبيئة التي تحيط به وهذا التعريف يقع ضمن دائرة الوعي الاجتماعي لمدركات الأشياء اما التفسير الفيزيائي للون فهو عبارة عن موجات ضوئية اهتزازية تدركها العين وهذه الموجات تقصر أو تطول وفقاً لطول الموجه وعليه فأن اللون يكون أكثر من مجرد زخرفة أو زينة للعين، أنه النور وقد تجزأ أطوال موجات والى نسب اهتزازية مختلفة، فالشيء الذي يمتص كامل النور فيسمى أبيض. وبما أن كل جسم يمتص موجات خاصة ويعكس الموجه التي تناسب لونه، فالموجه التي تدخل العين هو لون نفس الجسم. (فردريك بيوكي، ص ٤٢٨ وعبدالله الشاهر، ص ١).

دلالة اللون

كل انسان يفضل ويحبذ بعض الألوان ولا يحب البعض الآخر وقد يرفض بعض الألوان بالطبع، اختيار الألوان ورفضها وقبولها يعود الى اسباب متنوعة فيزيولوجية، نفسية، اجتماعية، دينية، رمزية، ذوقية و...

ولكل لون معنى نفسياً يتكون نتيجة لتأثيره الفيزيولوجي على الانسان. يقال أن الوقت يمضي بسرعة تحت أشعة خضراء ويمضي ببطء تحت أشعة حمراء، فاللون الأخضر لون هادئ، ومريح للأعصاب مما يشعر بمرور الوقت ضعيفاً وأما اللون الأحمر فمشهور بأنه لون مثير ومهيج ومقلق ويؤدي الى الشعور بالملل مما يجعل المرء يشعر بأن الوقت لا يمضي. (عبدالله الشاهر، ص ٢).

فيمكن القول أن الحالات النفسية والعاطفية قد تسبب عن آثار الألوان على الانسان.

فالألوان مفرحة، مهدئة، مهيجة، محزنة، مشوشة، مقلقة، مؤملة، مخيبة و...

هكذا العوامل الاجتماعية كالآداب، السنن، التقاليد والعادات لها اثرها في اختيار وتفضيل اللون. فلبس السواد لون الحداد والحزن عند كل الشعوب كما أن البياض ليس لون الفرح والسرور عند الجميع.

والبيئة الجغرافية والأقليمية ايضاً لها اثر يذكر في اختيار اللون، لأن كل شعب يمكن أن يحبذ لوناً ويستثمره وفقاً لظروفه البيئية والجغرافية. فمثلاً يعشق الجاهلي اللون الأخضر لأنه يبحث عن الخصوبة والعشب والكلأ والشجر في فيافي الجزيرة ولا يحب اللون الأحمر لأرتباط هذا اللون بالجدب والقحط والحرارة والجفاف والظمأ.

اذن وظائف أي لون تختلف بأختلاف الحضارات والمجموعات البشرية. يطرح (غرهام كولبير) مثالاً للتدليل على ذلك في أطار الوظيفة الرمزية للون في الرسم الديني البيزنطي في القرون الوسطى: فالأزرق اللون الغالب على رداء العذراء الخارجي يرمز الى النقاء والصفاء ويلمح الأحمر الى العاطفة البشرية والأنهماك الدنيوي ويمثل الأخضر الخصب وحاله الأمومة بينما يستعمل الذهبي كأرضية للصورة ليرمز الى ما هو مقدس. (جهاد عقيل، ص ٣)

علاوة على هذا كله الذوق الفردي له دوره في تفضيل أي لون إلّا أن الذوق متأثر من الأسباب السابقة. فالألوان بالأضافة الى كونها مظهراً من مظاهر الواقعية تكون حاملة ارث ثقافي حيث تتوضع في الألوان جملة من البنى الأسطورية الحضارية المؤسسة لثقافات الشعوب فلها دلالات جمالية.

اللون في القرآن الكريم

لاشك أن بلاغة القرآن هي التي افحمت العربي واسكتت جميع البلغاء ومن دعائم بلاغه القرآن موسيقى المفردات والمركبات والصور الفنية اللطيفة الدقيقة فيه واللون ظاهرة وظفت في الصورة الفنية القرآنية كثيراً لتلعب دورها في الدلالات القرآنية.

كلمة اللون

أن كلمة اللون وردت في القران الكريم تسع مرات. قد يهدف ذكرها تحديد ماهية اللون كما في: قالوا ﴿أدع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال أنه يقول أنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين﴾ (البقرة، ٦٩).

فيما بقي من الآيات التي ورد فيها لفظ اللون يقترن هذا اللفظ بالكلمة (الاختلاف) أوكلمة (المختلف) ليدل أولاً على القدرة المطلقة الالهية وثانياً على ما دعى الانسان اليه من التفكير والتبصر في حقائق عالم الكون. هذا ما يؤيده ذكر عبارة «الم تر أن الله..» أو عبارة «ومن آياته....» أو عبارة «أن في ذلك لآيات لقوم يسمعون...». في هذه الآيات:

﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم﴾ (الروم، ٢٢).

﴿الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصرفاً ثم يجعله حطاماً أن في ذلك لذكرى لأولي الألباب﴾ (الزمر، ٢١)

الأخضر والأصفر والأبيض والأسود والأحمر والأزرق هي الألوان الستة المذكورة في الآيات القرآنية كما أن هناك كلمات اخرى قد تدل على ما تدل عليه الألوان كالليل والنهار والنور والظلام و...

اللون الأخضر

اللون الأخضر هو لون الحياة والحركة والسرور لأنه يهدئ النفس ويسرها وهو تعبير عن الحياة والخصب والنماء والأمل والسلام والأمان والتفاؤل وهو لون الربيع، الطبيعة الحية، الحدائق، الأشجار، الأغصان والبراعم.

يعتبر الأخضر في الفكر الديني رمزاً للخير والأيمان وأنه أكثر شيوعاً في الروايات العربية الأسلامية وقباب المساجد واستار الكعبة وعمائم رجال الدين. (عبدالله الشاهر، ص ٤).

قد وردت لفظه الأخضر ثماني مرات في القرآن الكريم. كلمة خضر استخدمت لبيان

ماهية وجمال ثياب ومجلس أهل الجنة:

﴿ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق﴾ (الكهف، ٣١)

﴿عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق﴾ (الأنسان، ٢١)

في الآيات التسعة الباقية اقترنت كلمة أخضر ومشتقاتها بالنبات دلالة على جمال الكون وحيويته كمظهر من مظاهر القدرة والرحمة الالهية المطلقة. القدرة التي تجعل الشجر الأخضر حطباً يحترق ومولداً للطاقة ليستثمره الأنسان في حياته:

﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا منه توقدون﴾ (يس، ٣٨)

القدرة التي تخرج من التراب نباتاً أخضر:

﴿وأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً﴾ (الأنعام، ٦٩).

فأخضرار الأرض وخصوبتها وطراوتها تحت الأمطار الغزيرة من دوافع التفكير وحوافز التبصر في حقيقة الوجود:

﴿الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾ (الحج، ٦٣).

هناك حكاية رمزية في قصة يوسف القرآنية استخدمت فيها كلمة خضرة مرتين. في التصاوير المقدمة في هذه الحكاية لكلمة الخضر دلالة رمزية ترمز هذه اللفظة الى الحياة والحركة والطلاوة والطراوة مقابل كلمة اليابس التي ترمز الى الصمت والسكون والفناء والموت:

﴿اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات﴾ (يوسف، ٤٦)

اللون الأصفر

يعتبر اللون الأصفر من أشد الألوان فرحاً لأنه منير للغاية ومبهج. هذا اللون يمثل قمة التوهج والأشراق ويعد أكثر الألوان اضاءة ونورانية، لأنه لون الشمس ومصدر الضوء واهبة الحرارة والحياة والنشاط والسرور. واستخدمه المصريون القدماء رمزاً لألهة الشمس وللوقاية من المرض ٠الشاهر، ص ٣).

للون الأصفر دلالة اخرى تناقض الأولى وهي دلالته على الحزن والهم والذبول والكسل والموت والفناء ربما الدلالة هذه ترتبط بالخريف وموت الطبيعة والصحارى الجافة وصفرة وجوه المرضى.

ورد اللون الأصفر في القرآن كريم خمس مرات، منها:

﴿... قال أنه يقول أنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين﴾ (بقرة، ٦٩).

الجملة الوصفية (تسر الناظرين) في الآية يبين دلالة هذا اللون المبهجة في الطبيعة فـ (تسر الناظرين) أي تعجب الناظرين وتفرحهم بحسنها عن قتادة وغيره وروى عن الصادق (ع) أنه قال من لبس نعلاً صفراء لم يزل مسروراً حتى يبليها كما قال الله تعالى صفراء فاقع لونها تسر الناظرين. (الطبرسي، ج ١، ص ٢٧٤).

ففي الآية هذه، البقرة موصوفة باللون الأصفر تحديداً لماهية لونها والدلالة على جمال هذا اللون وتأثيره النفسي على الأنسان.

في الآيات الأربعة الباقية المذكور فيها هذا اللون لا نجد دلالة إلّا ما يدل على المرض والموت والفناء: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً﴾ (الحديد، ٢٠).

اذن في الآية صورة تمثيلية لنهاية الحياة وفناء لذائذها. شبهت ملاهي الحياة ولذائذها بأخضرار الأرض وخصوبتها بعد نزول امطار غزيرة فلم تلبث الأرض أن تجف وتصير قاحلة ويتحطم زرعها اليابس. فالأصفرار في هذه الآية يدل على الذبول، الموت والأضمحلال وكل الصورة في خدمة هداية الناس وتوجيههم نحو السعادة.

الصورة نفسها توظف في سورة زمرة آية ٢١ مرة اخرى حتى تكون موعظة بليغة لأصحاب الفكر وأولي الألباب:

﴿الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً أن في ذلك لذكرى لأولى الألباب﴾.

الآية تدعو الى التبصر والتفكير والأصفرار علامة القدرة الكاملة الالهية والسنة

الالهية النافذة والجارية في الخلق التي تحكم بفناء كل شيء.

هناك تصوير آخر تجسم وتجسد فيه حالات المكذبين في يوم القيامة. عندما تقول لهم الخزنة أذهبوا وسيروا الى النار التي كنتم تجحدونها وتكذبون بها. ثم شبه الله تعالى شرر النار بالقصر في العظمة والتخويف ثم شبهه في لونه بالجمالات الصفر فقال كأنه جمالت صفر أي كأنه أينق صفر وقيل أينق سود (انظر: طبرسي، ج ١، ص ٦٣٤) فالصفرة وصف ورد تبييناً لشدة العذاب وتخويفاً وتحذيراً للناس من التكذيب.

هناك صورة أخرى يعيب فيها سبحانه كافر النعمة، حيث يقول:

﴿ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون﴾ (الروم، ٥١).

فـ(المصفر) في الآية وصف لنبات دال على الفناء والعذاب كما يدل على قدرة الخالق سبحانه وتعالى الذي يجعل الخضرة والطراوة صفراً وذبولاً.

اللون الأزرق

يعتبر اللون الأزرق لون الوقار والسكينة والهدوء والصداقة والحكمة والتفكير اللون الذي يشجع على التخيل الهادئ والتأمل الباطني ويخفف من حدة ثورة الغضب ويخفف من ضغط الدم ويهدئ التنفس ويرمز الى الصدق والحكمة والخلود والأخلاص. (انظر: الشاهر، ص ٣).

لم يرد هذا اللون في القرآن الكريم الا مرة واحدة: ﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾ (طه، ١٠٢).

قال ابن عباس يريد بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله الهاً يحشرون زرق العيون، سود الوجوه ومعنى الزرقة الخضرة في سود العيون كعين السنور والمعنى في هذا تشويه الخلق وقيل زرقاً عمياً ترى زرقاً وهي عمى عن الفراء (طبرسي، ج ٧، ص ٤٨).

اذن اللون الأزرق استخدم في صورة مخفية قرآنية الا أن هذا اللون لم يدل على الخوف والوحشة إلّا مع ما تركب معه من السواد.

اللون الأحمر

اللون الأحمر لون القوة والقدرة والحياة والحركة وأما عاطفياً فيعتبر اللون الأحمر لون الحب الملتهب والتفاؤل والقوة والشباب (الشاهر، ص ٢).

أكثر الشعراء القدماء من استخدامهم هذا اللون نتيجة وعيهم الجمالي والمعرفي لدوره في أصل الوجود والواقع، لذلك تنوعت الفاظه التي كثرت لتعبر عن ماهيته وقيمته ومدى نقائه ودرجة تشعبه، من ذلك قولهم أحمر، أحمر قاني، ومدمي واضريج، جريال، عندم، اسفع، كميت و... (خالد زغريت، ص ٣).

كما يمثل هذا اللون الشر والكفر والقتل والدم والجان يرتدون اللباس الأحمر وأحياناً يعبر عن الفرح والسرور ويستخدم في الأعياد.

لم يرد اللون الأحمر في القرآن الكريم بلفظه الصريح إلّا مرة واحدة مزروعة بين اللونين الأبيض والأسود: ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾ (فاطر، ٢٧).

فـ(الحمر) في الآية الشريفة يبين تلون الطبيعة وتنوعها ليدل على المنة والمنة الالهيتين موعظة للناس ودعوة لهم الى التفكير.

استخدم هذا اللون بغير لفظه في آية: فكانت وردة كالدهان (الرحمن، ٣٧). وظف (الوردة) في هذه الصورة الفنية لتدل على لون السماء حين تنفرج ابوابها لنزول الملائكة. فشبه السماء يوم القيامة في اختلاف ألوانها بأفرس الورد وقيل أراد به النبات وهي حمراء (طبرسي، ج ٩، ص ٣١١). الحمرة في هذا التصوير تدل على شدة العذاب تهويلاً وتخويفاً للعصاة والمذنبين لأن الحمرة تمثل وتجسم لهيب النار.

اللون الأسود

السواد في الفيزياء بمعنى فقد اللون. أي كل شيء لا تبلغ منه موجات الى العين يرى أسود.

هذا اللون هو لون الظلام، الصمت، اليأس والخيبة والفناء ورمز الحزن والهم والموت

والأخفاق و... اللون الذي يمثل الظلم، الضلالة، الغضب، الأثم، الكفر، الشرك و... (الشاهر، ص ٦ وخالد زريت، ص ٢).

ورد اللون الأسود سبع مرات في القرآن الكريم، بعضها تمثل الكفر والأرتداد والعصيان والتكذيب، فسواد الوجه يرمز الى سواد الروح وتلوثها تمثل وتجسم في وجوههم، لأن الوجه مرآة الروح ولا يخفى ما في الروح من الحالات:

﴿ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ (الزمر، ٦٠).

﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين أسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم﴾ (آل عمران، ١٠٦).

وقد يستخدم السواد كناية عن ظلمة آخر الليل التي تكاد تنحسر:

﴿كلو وأشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ (البقرة، ١٨٧).

وقد يكنى به عن شدة الغضب وحدة الغيظ:

﴿واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهم كظيم﴾ (النحل، ٥٨).

﴿واذا بشر أحدهم بما ضرب الرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾ (الزخرف، ١٧).

وقد وظفت الألوان ومنها السواد لتدل على آثار قدرة الله

﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾ (فاطر، ٢٧).

اللون الأبيض

من وجهة نظر فيزيائية، اللون الأبيض يحتوي على موجات الألوان كلها بمعنى أن الشيء الذي يعكس الموجات كلها الى العين، يرى أسود (بيوكي، ص ٤٣٢).

ومن وجهة نظر سايكولوجية واجتماعية و.. هذا اللون، لون الطهارة والخلوص والصفاء والنقاء والمحبة والخير والحق والعدالة.

هذا اللون يقابل السواد في كل دلالاته. اذن يمثل ويصور الأوصاف الأيجابية والحالات المطلوبة والخصائص المحمودة.

ورد البياض أحدى عشرة مرة صراحة في القرآن الكريم. بعض الآيات توضح لنا أن الطهارة والنقاء والإيمان والصفاء تتجسم بيضاء في القيامة، فتصبح وجوه الصالحين والطاهرين بيضاء لامعة:

﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله﴾ (آل عمران، ١٠٧).

في هذه الآية (أبيضت وجوههم) كناية عن (صلحت أعمالهم وطهرت أرواحهم). وفي الآية ﴿أبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ (يوسف، ٨٤)، بياض العين كناية عن العمى، لأن من يصبح أعمى، يفقد سواد عينه عادة.

استخدم هذا اللون في حكاية موسى، عندما كانت يده بيضاء بأمر من الله دلالة واضحة ومعجزة لرسالته وبياناً لما أعطاه الله من القدرة لأثبات نبوته وأفحام المنكرين.

﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ (النمل، ١٢)

﴿أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ (القصص، ٣٢).

وفي الآية الكريمة ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾ البياض من مظاهر الجمال الالهي والقدرة الكاملة الربانية. وفي الآية الكريمة ﴿يطاف عليهم بكأس من معين، بيضاء لذة للشاربين﴾ وصفت الخمر (في الجنة) بالبياض لأنها في نهاية الرقة مع الصفاء واللطافة النورية قال الحسن خمر الجنة اشد بياضاً من اللبن (الطبرسي، ج ٨، ص ٦٩٢).

ففي الآية تصوير يدل فيه البياض على الرقة والصفاء والجمال من ناحية وعلى الرحمة الخالدة في الجنة من ناحية اخرى.

هذا وقد تستخدم الألوان بصورة غير مباشرة في الصورة الفنية. أهمها ما يدل على السواد والبياض من غير لفظيهما كالنور والظلام والليل والنهار:

النور:

بما ان النور يوجه الأنسان الى مقصده ويسعده في روية كل شيء للتعرف على جميع

الأشياء والموجودات، فيستعار لكل ما يهدي ويوجه الأنسان في حياته وفكره ورؤيته. استعير النور في القرآن الكريم للهداية والدين والإيمان والقرآن والنبي الكريم والأدلة والبراهين والعدالة والعلم.

الف: الهداية، قد استخدمت كلمة «النور» استعاره عن الهداية كراراً. كلمة النور في الآيات التالية قد تمثل وتجسم الهداية في صورة حسية ملموسة، تقريراً وتقريباً لها الى الفهم: (ينظر: سيد قطب، ص ٨٥).

﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور﴾ (احزاب، ٤٣).

﴿.. ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور﴾ (طلاق، ١١).

﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخركم من الظلمات الى النور﴾ (حديد، ٩)

﴿كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور﴾ (ابراهيم، ١).

﴿وآتيانه الأنجيل فيه هدى ونور﴾ (مائدة، ٤٦).

كلمة (النور) في الآيات المذكورة استعارة تصريحية للهداية الى طريق الرشاد وسبيل النجاة.

ب: الدين والإيمان: قد تستعار كلمة (النور) في الصور الفنية القرآنية للدين والإيمان، على سبيل الاستعارة المصرحة على الأغلب:

﴿.. يهدي الله لنوره من يشاء﴾ (نور ٣٥).

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره...﴾ (الصف، ٨).

ج: القرآن: قد تعبر لفظه (النور) عن القرآن الكريم بوصفه هادياً للناس ومنوراً الطريق لمن يبحث عن طريق لأنقاذ نفسه.

﴿وأتبعوا النور الذي أنزل معه...﴾ (أعراف، ١٥٧).

﴿ويأبى الله إلّا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ (توبة، ٣٢).

﴿فأمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ (تغابن، ٨).

﴿أنزلنا اليكم نوراً مبيناً﴾ (نساء، ١٧٤).

د: النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) والأنبياء الآخرون:

النبي هو القرآن الناطق ورسالته في هداية الناس جعلته نوراً لامعاً وضياءاً ساطعاً لأنقاذ الناس من الضلالة والكفر كما أن الأنبياء كلهم كانوا قد أرسلوا لنفس السبب وأنجاز المهمة نفسها:

﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ (مائدة، ١٥).

عبارة (نور على نور) من آية ٣٥ (سورة النور) فسرت وعبرت بعبارة (نبي بعد نبي) وفيه خلاف (انظر: طبرسي، ١٩٨٦، ج ٧، ص ٢٢٦).

ذ: الأدلة والبراهين:

وقيل أن (النور) استعارة للأدلة والبراهين في بعض الآيات: (انظر، طبرسي، ج ٥، ص ٣٨ و ج ١، ص ١٥٢):.

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم﴾ (توبة، ٣٢).

﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ (بقرة، ٢٠).

ر: العدالة: في الآية الكريمة التالية، لفظه (النور) تجسم وترسم العدالة في استعارة مصرحه:

﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب...﴾ (زمر، ٦٩).

الا أن هناك اختلافاً بين المفسرين في المستعار له للفظه (النور) في الآية المذكورة. (انظر: طبرسي، ج، ٨، ص ٧٩٢).

ز: العلم: يقول بعض المفسرين أن كلمة «النور» في الآيتين التاليين ترمز الى العلم.

﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾ (انعام، ١٢٢).

﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ (رعد، ١٦).

علاوة على ما ذكر قد ذكر (النور) علامة تدل على القدرة الكاملة الألهية والرحمة الشاملة الرحمانية.

﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ (انعام، ١).

﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً﴾ (يونس، ٥).

الظلام

الظلام نقيض النور في كل خصائصه، كما كان السواد نقيض البياض، فيستطيع الظلام أن يدل على الضلالة والكفر ويرمز الى الجهل والخوف والوحشة ويمثل الخيبة والأخفاق والشر والظلم والباطل والعتمة.

في القرآن الكريم يدل الظلام على:

الف: الضلالة:

﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخركم من الظلمات الى النور﴾ (حديد، ٩).

﴿كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور﴾ (ابراهيم، ١).

إلّا أن بعض المفسرين يعتقدون أن «الظلمات والنور» في الآية السابقة استعاره عن «الكفر والايمان» (طبرسي، ج ٦، ص ٤٦).

ب: الكفر: أن الظلام تصوير دقيق للكفر والألحاد. لأن الكفر يسبب أن يتحير ويتخبط الأنسان في حياته ومماته، كما أن الظلام يجعل الأنسان متحيراً في طريقه:

﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات﴾ (بقرة، ٢٥٧).

﴿والذين كذبوا بأياتنا صم بكم في الظلمات﴾ (انعام، ٣٩).

ج: الجهل: سبق أن قلنا ان العلم يوجه الأنسان فهو كالنور وقبما أن الجهل يضل الأنسان فلا تمثله صورة الا الظلام:

﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ (انعام، ١٢٢).

﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ (رعد، ١٦).

﴿أن للبياض والسواد قيمة تعد من أهم القيم الفكرية والفنية في الأدب العربي نلمح فيها بصورة جلية المقابلة بين الأبيض والأسود والليل والنهار والنور والظلم وكل ما يمكن أن يتصل بهما من معان ترمز للخير والشر والعدل والظلم﴾ (محمد قرانيا، ص ١).

وظائف الألوان في القرآن الكريم:

١ ـ الوظيفة التعبيرية: قوامها اللفظ الصريح الذي يحمل معاني كبيرة مشحونة بطاقات هائلة من التعبير، تثير المشاعر، كالبهجة والفرح والمتعة والحزن والخوف والرهبة.

٢ ـ الوظيفة الرمزية: وقوامها اللفظ الموحي، الذي يمكن أن يحدث استجابة نفسية بشعور ما يحرك عواطف الأنسان ويدعو الى التأمل والتفكير والتدبر كما في قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً، فاذا أنتم منه توقدون﴾ فاللون الأخضر الذي يرمز للخصب أولاً وللحياة وأستمرارها ثانياً جعل منه وقوداً للأحتراق والموت وجعله متناسقاً متناغماً مع سياق الآيات قبله، والتي يستنكر فيها الكافرون قدرة الله على البعث وأعادة الحياة الى الأموات. (محمد قرانيا، مجلة التراث، ص ٦).

٣ ـ الوظيفة الحسية وقوامها تأثر العين والعين وسيلة الاتصال المباشر مع الكائنات.

٤ ـ الوظيفة الجمالية التزيينية: واللون له دوره في تنميق وتزيين الكائنات.

خاتمة:

ان اللون ظاهرة هامة في القرآن الكريم استخدم مرات عديدة ليؤدي وظائف مختلفة من التعبيرية والحسية والتزيينية والمجازية والرمزية فيما يدل على الألوان مباشراً كالأخضر والأصفر والأبيض والأسود والأزرق والأحمر وما يدل عليها غير مباشر كالنور والظلام والليل والنهار و....

المراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ بيوكي، فردريك، فيزيک براى رشته‌هاى فني، ترجمه محمد ابراهيم ابو كاظمي، مركز نشر دانشگاهي، چاپ اول، تهران، ١٣٧٠.

٣ ـ رازي، الامام فخر الدين، التفسير الكبير، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠ م، ١٤١١ هـ

٤ـ زغريت، خالد، الاساس الواقعي لجماليات اللون في شعر الاغربة، مجلة التراث العربي، العدد ٨٥.

WWW. awu - dam.org

٥ ـ الشاهر، عبدالله، الاثر النفسي للون، مجلة الموقف الادبي، العدد ٣٧٩.

WWW. awu - dam.org

٦ ـ شريف، طارق، الشعر والفن التشكيلي، مجلة الموقف الادبي، العدد ٧. ١٩٧٤ م.

WWW. awu - dam.org

٧ ـ طبرسي، الشيخ ابو علي، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبعة الاولى، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ

٨ ـ عصفور، جابر، النقد الادبي (٢)، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الاولى، بيروت، ٢٠٠٣م.

٩ ـ عقيل، جهاد، الالوان المكتوبة مدخل الى الالوان في الشعر، مجلة الموقف الادبي، العدد ٣٦٢ حزيران ٢٠٠.

WWW. awu - dam.org

١٠ ـ قرانيا، محمد، الالوان في مخيله العربي وتأثيرها في عبقريته، مجلة التراث العربي، العدد ٩١ ـ ايلول ٢٠٠٣.

WWW. awu - dam.org

١١ ـ ظاهره اللون في القرآن الكريم، مجلة التراث العربي، العدد ٧٠ ـ كانون الثاني ١٩٩٨.

WWW. awu - dam.org

١٢ ـ قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، الطبعة الثالثة دار الشروق، ١٤٠٣ هـ